كعب الأحبار بين الاتهام والإنصاف

محمود محمود حسن أحمد نصار

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

فقد استقبل الإسلام منذ أن بدأت الدعوة إليه كثيرًا من الوجوه الكبيرة، التي كانت تنتمي إلى طوائف أهل الكتاب وغيرهم، واستمر هذا إلى عصرنا الحالي، وأحسب أنه بشاهد من الاستقراء صار أمرًا مألوفًا ومعتادًا تمامًا في تاريخ الإسلام وحاضره، ولا يتوقع أن يتوقف في المستقبل، مادامت الحياة قائمة وفق قوانينها المعهودة.

ومن مشاهير القادمين من اليهودية إلى رحاب الإسلام في صدره الأول، أبو إسحاق كعب بن ماتع المشهور بكعب الأحبار، أو كعب الحبر، ذلك اليمني اليهودي الذي عاصر النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن إسلامه تأخر إلى زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصار في عداد التابعين، بعد أن فاته فضلُ كونه من الصحابة رضوان الله عليهم، واشتهر كعب بكثرة ما نُسب إليه من روايات منقولة عن أهل الكتاب، خاصة في تفسير القرآن الكريم، والتعريف بتاريخ الأمم السابقة على الإسلام، وقد ترك كعب الأحبار علامات في الثقافة الإسلامية لا زالت باقية حتى الآن، وإن كنا لا نحس جذورها العميقة المنسوبة إليه بوضوح كاف.

وقد طارت شهرة كعب برواية منقولات أهل الكتاب وضمها مع آخرين في نهر المعرفة الإسلامية، حتى صارت هذه المرويات جزءًا من التراث المعرفي الإسلامي، وتزداد أهمية هذا الجانب حين نعلم أن تأثيره تجاوز مجرد الرواية إلى التأثير في فهم بعض آيات القرآن، واعتبار بعض المرويات الكتابية

أحاديث نبوية، واتكاء طوائف من المتكلمين والصوفية، فضلًا عن الوعاظ على مرويات كتابية، تركت آثارًا غير هينة على الحياة العلمية والفكرية الإسلامية.

وهذه الدراسة محاولة متواضعة لتصحيح مسار البحث في شخصية كعب، وذلك بالتعريف به، وما تناوله المؤرخون حول حياته بما تيسر في مصادرهم، ثم الدخول في شخصية كعب في ميزان المعاصرين، وانتهاءً بالحديث عن كعب بين الاتهام والإنصاف.

وقد تناولت في الجزء الأساسي من هذه الدراسة موقف المعاصرين من كعب، وما ساقوه من اتهامات حول الرجل، وناقشت هذه الآراء مناقشة موضوعية بعيدة عن الميل والهوى، وذلك من خلال ما ذُكر عن كعب من مختلف المفكرين المعاصرين، بغرض الكشف عن هذه الشخصية التي أثرت في الثقافة الإسلامية، سائلًا المولى عز وجل أن يوفقنا ويسدد خطانا ويهدينا إلى سواء السبيل، اللهم آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

التعريف به:

هو كعب بن ماتع[1] بن هيسوع، ويقال: هلسوع بن ذي هجري بن هيتم بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد، ويقال: كعب بن ماتع بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشم بن عبد شمس بن وائل بن عوف بن حمير بن قطن بن عوف بن زهير بن أيمن بن حمير بن سبأ، ويقال: كعب بن ماتع، من ولد زهير سواودي هجران بن ميتم بن مثرة بن يريم بن ذي رُعين الأكبر بن سهل بن زيد بن الجموهر بن عمرو بن قيس بن معاوية بن حسن[2].

ويظهر من سلاسل النسب المذكورة أن كعبًا منسَّب في العرب، وأنه لم يكن إسرائيلي النسب من جهة والده، وهو ما يعني أن اليهودية جاءته من ناحية الأمهات، أو أنه من العرب الذين تهودوا في مراحل تاريخية سابقة.

١- "ماتع": بالتاء المثناة من فوق، هو والد كعب الأحبار، التابعي المشهور. أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ص ٦٨.

٢- أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، **نسب معد واليمن الكبير**، تحقيق: ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ج ٢، ص ٥٤٠، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، **الأنساب**، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج ٥، ص ٤٢٧، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد بن عمر بن غرامة القمري، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج٥٠، ص ١٥١، النووي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٨.

وربما يفتح هذا الأمر باب الحديث عن يهود اليمن تحديدًا والذين كان كعب منهم وهل كانوا عربًا تهوّدوا، أو أن لهم مصاهرة مع اليهود أدخلتهم في اليهودية؟ وما شابه ذلك من الاحتمالات.

مولده:

لم يذكر أحد من المؤرخين على وجه التحديد تاريخًا محددًا لميلاد كعب، إلا أننا نستطيع من خلال الروايات التي تحدثت عن وفاته، أن نقول: إنه ولد قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بسبعة وخمسين عامًا تقريبًا، فقد توفي وعمره مائة وأربع سنين، أي: أن مولده كان قبل ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم بحوالي تسعة عشر عامًا تقريبًا[٣] وقبل السنة الهجرية الأولى باثنتين وسبعين سنة، وتكون ولادته بالتقويم الميلادي في سنة ٥٤٨م[٤].

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، مرسلًا. وروى عنه: عمر بن الخطاب، وصهيب بن سنان الرومي، وابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وأبو هريرة، وخلائق من التابعين منهم: سعيد بن المسيب، ومالك بن عامر الأصبحي، وعطاء بن أبي رباح، وابن امرأته تبيع الحميري، وآخرون[٥].

وقد ذكره أحد الباحثين[٦] بقوله: "وقد أخطأ محمد فريد وجدي خطأ جسيمًا في قوله: إن والد كعب كان من أجلاء الصحابة، وإنه سبق كعبًا بإعلان إسلامه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٧]، ويتابع: "وهذا الكلام لم يقل به أحد، وهو منه مجازفة، علمًا بأنه لم يسند كلامه هذا إلى أي مصدر أو مرجع، وإلا كيف يكون من أجلاء الصحابة، وهو غير معروف ولم يذكره أحد، وأغلب ظني أنه

٣- أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، **الثقات**، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ج ٥، ص ٣٣٣، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، حققه وضبط نصه وعلقه عليه: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ج ٢٤، ص ١٩٣، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م، ج ٥٠، ص ٢٢٨.

٤- خليل إسماعيل إلياس، **كعب الأحبار وأثره في التفسير**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٢٧.

٥- ابن عساكر، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٥١، النووي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٨، المزي، المصدر السابق، ج٢٤، ص ١٨٩- ١٩٠، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، أشرف على تحقيق الكتاب، وخرّج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، حققه: محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج ٣، ص ٤٩٠، أحمد بن علي بن حجر شهاب الدين العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، اعتناء: إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، مكتبة تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، بيروت، ج ٣، ص ٤٧١.

٦- خليل إسماعيل إلياس، المرجع السابق، ص ٢٦.

٧- محمد فريد وجدي، **دائرة معارف القرن العشرين**، دار المعرفة، بيروت، ط ٣، ج ٨، ص ١٦٠.

توهم بأحد الأسماء الموافقة لاسم أبي كعب، وهو "ماتع مولى فاختة، كما هو في **فتح الباري بشرح صحيح البخاري، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري**"(٨)، ومما يؤكد عدم إدراك والد كعب للإسلام، فضلًا عن أن يكون من أجلاء الصحابة، ما يحكيه كعب عن أبيه قال: "إن أبي كتب لي كتابًا من التوراة، ودفعه إليّ، وقال اعمل بهذا، وختم على سائر كتبه، وأخذ عليّ بحق الوالد على ولده، أن لا أفض الخاتم، فلما كان الآن، ورأيت الإسلام يظهر، ولم أر بأسًا، قالت لي نفسي: لعل أباك غيّب عنك علمًا كتمك، فلو قرأته، ففضضت الخاتم، فقرأته، فوجدت فيه صفة محمد صلى الله عليه وسلم، وأمته، فجئت الآن مسلمًا"(٩).

نسبه وكنيته:

إن المصادر التي أوردت نسب كعب الأحبار كما سبق سرده قليلة، غير أنها متفقة على أن اسم أبيه: ماتع، وأنه يمني، حميري، وأنه ينسب لبني تميم، وهم: بطن من حمير، وبنو حمير قبيلة من بني سبأ من القحطانية، قال الجوهري: اسم حمير: العَرَنْجج، وكان لحمير من الولد: الهميسع ومالك، ومن حمير كانت ملوك اليمن(١٠)، وكان يكنى بأبي إسحاق(١١).

٨- أحمد بن علي بن حجر شهاب الدين العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، قرأ أصله تصحيحًا وتحقيقًا، وأشرف على مقابلة نسخه المطبوعة والمخطوطة، عبدالعزيز بن عبد الله بن باز، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه، محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ج ٩، ص٣٣٤، بدرالدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، ضبطه وصححه: عبدالله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ج ٢٠، ص ٣٠٥.

٩- ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، ج ٣، ص ٤٧١، ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج ٥، ص ٣٢٣.

١٠- أبو العباس أحمد القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط٢، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٢٣٧، ٤٢٧.

١١- محمد بن سعيد بن منيع الزهري ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ج ٩، ص ٤٤٩، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، **المعارف**، حققه وقدم له: ثروت عكاشه، دارالمعارف، القاهرة، ط٤، ص٤٣٠، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، **الكني والأسماء**، حققه وقدم له: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، ج١، ص٣٠٥، ابن عساكر، المصدر السابق، ج٥، ص ١٥٣، جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي، **صفة الصفوة**، حققه وعلق عليه: محمود فاخوري ومحمد رواس قلعة جي، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج ٤، ص ٢٠٣، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، المجلد ٤، ص١٨٧، المزي، المصدر السابق، ج ٢٤، ص ١٨٩، ابن حجر، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٧١.

لقبه:

يلقب بكعب الأحبار، والأحبار، جمع "حَبْر"، والحبر: بحاء مفتوحة، وبعدها باء معجمة، وهو العالم المحكم للشيء، ومنه قيل لكعب: "كعب الأحبار"، وكان الفراء يقول: "أكثر ما سمعت العرب تقول في واحد "الأحبار" "حِبْر" بكسر الحاء. وكونه حبرا قد يؤكد نسبه الإسرائيلي، ويبعد احتمال أن يكون من متهودة العرب، إلا أن كونه حميريًا خاصة مع ما ساقه بعض المؤرخين من نسب له موصول إلى حمير بن سبأ قد يقلب الآية، ولا يبعد أن تكون ديانة موسى عليه السلام عرفت في هذه الأنحاء في عهد سليمان بن داود عليهما السلام، خاصة وأنه قد ثبت بالقرآن الكريم نفسه إسلام ملكة من ملكات سبأ، وهي المشهورة في الأدبيات التوراتية باسم بلقيس(١٢).

إسلامه:

كعب بن ماتع أو كعب الأحبار، ذلك اليمني اليهودي الذي عاصر النبي صلى الله عليه وسلم، هو أحد مشاهير أهل الكتاب الذين أسلموا في زمن مبكر من تاريخ الإسلام، وإن كان ذلك قد وقع في خلافة عمر رضي الله عنه على الراجح، وقد وردت عدة روايات حول إسلامه، منها ما يتعلق بسبب تأخر إسلامه، ومنها ما يتعلق بالتاريخ، والعهد الذي أسلم فيه.

أما الذي أخر إسلامه، فلعله كان يتشكك في صحة الرسالة قبل أن يتحقق منها عن قرب، فلما رأى الإسلام يعبر المحنة تلو المحنة، لم يجد من العقل أن يتوقف عن الذهاب إلى المدينة، ليتعرف على طبيعة هذا الدين عن قرب وفيما يلي بعض التفاصيل لهذه القضية.

لقد ذكر المؤرخون أن كعب الأحبار عاصر النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن إسلامه تأخر إلى زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فصار في عداد التابعين بعد أن فاته فضلُ أن يكون في عداد الصحابة رضي الله عنهم، مع أن الإسلام كان قد ساد، وانتشر في كثير من أنحاء اليمن في أواخر العهد النبوي، بل تتحدث الروايات الصحيحة عن وفد حمير الذي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم، بعد عودته من غزوة تبوك في العام التاسع للهجرة، وأسلم(١٣).

١٢- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تفسير الطبري** المسمى **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، حققه وعلق حواشيه: محمود محمد شاكر، راجعه وخرّج أحاديثه: أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ص٣٤١، ابن عساكر، المصدر السابق، ج ٥٠، ص ١٥٣، ١٥٦، ابن حجر، المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٢٢.

١٣- قال ابن حجر وغيره: "وكنت أظن أن قوله: و"أهل اليمن بعد الأشعريين" من عطف العام على الخاص، ثم ظهر لي أن لهذا العام خصوصًا أيضًا وأن المراد بهم: "بعض أهل اليمن وهم وفد حمير": **فتح الباري بشرح صحيح** =

وإن قيل: لم لم يشارك كعب في الوفد اليمني القادم للقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة؟ ولو شارك لكان من المحتمل بقوة أن يسلم كما أسلم وفد بلاده، والإجابة تكمن في أن السلطان في اليمن لهذا العهد كان للنصارى، في حين كان اليهود وأحبارهم أشبه بالأقلية الدينية، ويبدو كذلك أنه كانت هناك قطيعة في هذه الفترة بين فريقي أهل الكتاب، وهو أمر له خلفية تاريخية تتعلق باضطهاد اليهود للمسيحيين أيام ذي نواس، ثم سيطرة الحبش على اليمن لحساب الرومان.

إن الرواية التي تفسر تأخر إسلام كعب رويت عن سعيد بن المسيب، قال: قال العباس لكعب: ما منعك أن تسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، حتى أسلمت الآن على عهد عمر؟ فقال كعب: إن أبي كتب لي كتاباً من التوراة ودفعه إليّ وقال: اعمل بهذا، وختم على سائر كتبه، وأخذ عليّ بحق الوالد على ولده أن لا أفض الخاتم، فلما كان الآن، ورأيت الإسلام يظهر، ولم أر بأسًا قالت لي نفسي: لعل أباك غيَّب عنك علمًا كتمك، فلو قرأته! ففضضت الخاتم فقرأته، فوجدت فيه صفة محمد وأمته، فجئت الآن مسلماً، فوالى العباس(١٤).

والرواية مع ما يحوم حولها من شك، وما قد يبدو عليها من تكلف، فإن السبب الذي أوردته في تأخر إسلام كعب، هو سبب معقول في بيئة توارثت الغيرة على تراثها الديني من أن يجتاحه الدين القادم من بيئة غير عبرانية، مع كثرة ما أصاب اليهود من نكبات، نتجت عن التمدد السياسي لدولة بعد دولة في

البخاري، قرأ أصله تصحيحًا وتحقيقًا وأشرف على مقابلة نسخة المطبوعة والمخطوطة: عبدالعزيز بن عبد الله بن باز، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ج ٨، ص ٩٧، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله الملك القسطلاني، **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ج ١، ص ٥٨٢.

١٤- ابن سعد، المصدر السابق، ج ٩، ص ٤٤٩، ورواه الفاكهي في **أخبار مكة**: حدثنا محمد بن إسماعيل قال: ثنا عفان، قال: ثنا حماد بن سلمة، قال: أنا علي بن زيد عن سعيد بن المسيب جاء في **الجرح والتعديل**، قال: يحيى بن معين: "علي بن زيد بن جدعان ليس بحجة"، وقال فيه أبو حاتم: "ليس بقوى يكتب حديثه ولا يحتج به، وهو أحب إليّ من يزيد بن أبي زياد"، وقال ابن أبي حاتم، سألت أبا زرعة عن علي بن زيد بن جدعان فقال: "ليس بِقَويّ". أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي، **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، بيروت، ج ٢، ص ٣٠، أبو عبدالرحمن بن الإمام الكبير أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، **الجرح والتعديل**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م، ج ٣، ص ١٨٧.

منطقة الشام، التي آوت العبرانيين في القرون التالية على الخروج من مصر، ويزيد من فرص قبول الرواية أنها في مسألة تاريخية لا شرعية، وأن الراوي المتهم فيها متهم في حفظه، وليس في أمانته.

وهناك رواية أخرى لإسلام كعب تحكى قصة اعتناقه للإسلام دون أن تبين سبب تأخره في هذا، فقد سمع تاليًا يتلو الآية الكريمة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾(١٥) وهذه الآية تخاطب أهل الكتاب، فآمن على أثرها(١٦).

ومع أن الروايات التي تحكى عن توبة أحد العصاة، أو إيمان أحد الكفار لدى سماعه آية من القرآن صادفت شيئًا معقولًا عنده، وإقبالًا نفسيًا منه، هي من الشيوع والكثرة بحيث لا تحتاج إلى تنبيه، مع هذا فإن ضعف الرواية المذكورة عن كعب، لا تعني صعوبة نسبة هذا إليه ضمن سياق تاريخي كان الإسلام يتقدم فيه بقوة ويتغلب على جميع العراقيل التي توضع في طريقه، سواء في زمن النبوة أو خلال فترة الردة والفتوح العظيمة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما(١٧).

وفي خضم معالجتنا لتلك الروايات جملة، لا ينبغي أن ننسى أن الرجل حبر وعالم من علماء أهل الكتاب وأن السبب الذي أتى به إلى الإسلام كان منسجمًا تمامًا مع منصبه الديني والعلمي في قومه، وقد

١٥- سورة النساء، الآية: ٤٧.

١٦- ابن عساكر، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٦١-١٦٢، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن الكريم**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي وماهر حبّوش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ج ٦، ص ٤٠٤، أبو القاسم محمد أحمد بن جُزي الكلبي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ضبطه وصححه وخرّج أحاديثه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج ١، ص١٩٣-١٩٤، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبدالجواد والشيخ علي محمد معوض، محمد سعد رمضان حسن، محمد متولي الدسوقي حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج ٦، ص ٤١٢، جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، تحقيق: عبد الله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج ٦، ص ٦١٥، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، **تفسير أبي السعود** المسمى **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٢، ص ١٨٦.

١٧- ابن عساكر، المصدر السابق، ج ٥٠، ص ١٦٢.

ظهر علمه هذا بجلاء بعد إسلامه، فإظهاره قبل إسلامه بصورة الجاهل بحقيقة الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام مسألة محل نظر.

روايات المؤرخين حول تاريخ إسلام كعب:

لقد ذكر أحد الباحثين كعبًا بقوله: "والراجح أن إسلامه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم على يد علي رضي الله عنه ثم قدم المدينة في خلافة عمر، فظن قوم أنه أسلم في خلافة عمر، لما خفى عليهم من أمر إسلامه، فذكروا ما شاهدوه، وأما من علم بأمره، فقد حدّث هو الآخر بما قد علم، فمنهم من قال في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم من قال في خلافة الصديق رضي الله عنه وإذا قيل هذا فأين تذهب بقول كعب للعباس؟ فيقال في جوابه: وهل خفيت هذه الرواية عن الذهبي وأمثاله من الحفاظ والمؤرخين حتى قالوا بإسلامه في خلافة الصديق أو على يد علي رضي الله عنه؟ ومع ذلك فهي رواية ضعيفة لوجود علي بن زيد بن جدعان فيها، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ"(١٨).

ويقوي هذا المعنى كلام ابن قتيبة في **المعارف** حيث قال: "أسلم في اليمن، ثم قدم المدينة في خلافة عمر رضي الله عنه"(١٩) وبنحو هذا المعنى، أشار الذهبي في **التذكرة** فقال: "أسلم في زمن أبي بكر، وقدم من اليمن في دولة أمير المؤمنين عمر"(٢٠). وهذا في الحقيقة هو جمع بين الأقوال وإعمال لها، بخلاف ما إذا قلنا إنه أسلم في خلافة عمر؛ لأننا بهذا نهمل أقوال جمهرة من العلماء لا بأس بهم وبأدلتهم، وكما قالوا: إعمال الكلام أولى من إهماله.

ثم يتابع الباحث بسط رأيه بقوله: "وحتى الذين قالوا بترجيح إسلامه في خلافة عمر رضي الله عنه نراهم يترددون في موضع، ويرجحون في موضع آخر، ومن أبرز هؤلاء القائلين، ابن حجر"(٢١) فقد نقل القول بإسلامه في خلافة الصديق، ثم نقل بصيغة التضعيف القول بإسلامه في خلافة عمر رضي الله عنهما قال: "وأسلم في أيام أبي بكر، وقيل أيام عمر".

ولكني أميل إلى أن إسلامه كان في خلافة عمر رضي الله عنه، خاصة أن ابن حجر(٢٢): قد رجح إسلام كعب في خلافة عمر، وذلك الترجيح للأسباب التالية:

١٨- خليل إسماعيل إلياس، المرجع السابق، ص ٣١-٣٢.

١٩- **المعارف**، ص ٤٣٠.

٢٠- **تذكرة الحفاظ**، ج ١، ص ٥٢.

٢١- **تهذيب التهذيب**، ج ٣، ص ٤٧١.

٢٢- **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج ٥، ص ٣٢٢.

أولًا: أن الدكتور خليل إسماعيل إلياس استند في ترجيحه لإسلام كعب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم على يد علي رضي الله عنه على أنه أسلم زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ولما قدم المدينة في خلافة عمر ظن قوم أنه أسلم في خلافة عمر، لما خفي عليهم من أمر إسلامه، فذكروا ما شاهدوه، وأما من علم بأمره، فقد حدَّث هو الآخر بما علم. أقول: إن إسلام رجل بمكانة كعب الأحبار لا يمكن أن يقوم على ظن القوم بالوقت الذي أعلن فيه إسلامه، خاصة أن الصحابة والتابعين من بعدهم كانوا حريصين على ذكر كل ما يتعلق بأحوال وأخبار العلماء من مسلمة أهل الكتاب أمثال كعب، إضافة إلى أننا لم نقرأ لأحد من المؤرخين ذكر دوراً لكعب قبل خلافة عمر.

ثانيًا: أنه استند إلى رواية ابن قتيبة التي ذكر فيها أنه أسلم في اليمن، ثم قدم المدينة في دولة أمير المؤمنين عمر، علمًا بأن هذه الرواية التي استند إليها لم يحدد فيها ابن قتيبة الزمن الذي أسلم فيه كعب قبل قدومه المدينة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبهذا يمكن أن نقول إنه أعلن إسلامه في اليمن في عهد عمر، ثم قدم المدينة في نفس العهد.

ثالثًا: أنه اعتمد كذلك في ترجيحه هذا على إشارة الذهبي في **التذكرة**: أن كعبًا أسلم في زمن أبي بكر الصديق، وقدم من اليمن في دولة أمير المؤمنين عمر، وهذه ليست قرينة قاطعة، لأن الذهبي ذكر كذلك في **سير أعلام النبلاء**: أن كعبًا أسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم من اليمن في أيام عمر(٢٣). وذكر أيضًا في **تاريخ الإسلام** أن كعبا أسلم في خلافة أبي بكر، أو أول خلافة عمر(٢٤).

رابعًا: أننا إذا قلنا إن كعب الأحبار أسلم في خلافة عمر، فذلك لا يعني إهمالًا لأقوال أخرى ترى خلاف ذلك، لأن روايات العلماء والمؤرخين حول أي حدث يؤخذ منها ويرد، فأحيانًا تكون الرواية مجافية للحقيقة، وأحيانًا تكون متجاوزة للحدث، وأحيانًا ثالثة تكون مبالغًا فيها إلخ... فدور المؤرخ هو التفاعل مع كل الروايات بالنقد والتحليل الموضوعي الذي يقوم على الأدلة والأسانيد، وترجيح رواية على أخرى ليس من باب الإهمال أو الاهتمام، وإنما تتأثر قيمة الرواية بمدى مصداقيتها، بحيث تكون في الصدارة من الاهتمام والترجيح على ما سواها من الروايات حين تكون صحيحة متفقة مع منطق الأحداث وطبيعة الحدث التاريخي عمومًا.

٢٣- الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٣، ص ٤٨٩.

٢٤- الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج ٣، ص ٣٩٧.

خامسًا: وبناءً على ما سبق فإن كعب الأحبار لو أنه أسلم في اليمن، وفي زمن النبي صلى الله عليه وسلم على يد علي رضي الله عنه لسارع وكان أكثر الناس حرصًا على أن يذهب إلى المدينة لينال شرف رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وصحبته، وبدلًا من أن يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا، يروى عنه مشاهدة، خاصة أن كعبًا كان من علماء اليهود ووجهائهم.

سادسًا: أن أغلب المؤرخين ذكروا أنه أسلم في خلافة عمر بن الخطاب.

وقيل: إنه أسلم في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أو أول خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٢٥) والخطب يسير في شأن هذا الاختلاف.

والراجح أنه أسلم في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٢٦)، فقد روى سيف بن عمر التميمي، عن أبي حارثة، وأبي عثمان، والربيع بن النعمان البصري قالوا: "ووقع الطاعون بعد بالشام ومصر والعراق، واستعز (واستقر) بالشام، ومات فيه الناس الذين هم الناس في المحرم وصفر، وارتفع عن الناس، وكتبوا بذلك إلى عمر، ما خلا الشام، فخرج حتى إذا كان منها قريبًا، بلغه أنه أشد ما كان، فقال وقال الصحابة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا كان بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض

٢٥- ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج ٢، ص ٤٠٢، ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج ٤، ص ١٨٧، المزي، المصدر السابق، ج٢٤، ص ١٨٩، الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج ٣، ص ٣٩٧، الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج ١، ص ٥٢، الذهبي، **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة وحاشيته** للإمام برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن محمد سبط بن العجمي الحلبي، قابلها بأصل مؤلفيها وقدم لها وعلق عليها: محمد عوّامة، خرّج نصوصها: أحمد محمد نمر الخطيب، مؤسسة علوم القرآن، جده، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ج ٢، ص ١٤٨، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى، **الوافي بالوفيات**، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج ٢٤، ص ٢٦٠، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، حققه وعلّق عليه: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج ١، ص ٢٠١، الزركلي، المرجع السابق، ج ٥، ص ٢٢٨.

٢٦- ابن عساكر، المصدر السابق، ج ٥٠، ص ١٦١، ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، عمرو يونس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٨٥٣م، ج ٥، ص ٣٢٢.

وأنتم بها فلا عليكم"، فرجع حتى ارتفع عنها، وكتبوا إليه بذلك وبما في أيديهم من المواريث، فجمع الناس في سنة سبع عشرة في جمادى الأولى فاستشارهم في البلدان، فقال: إني قد بدا لي أن أطوف على المسلمين في بلدانهم، ولأنظر في آثارهم، فأشيروا عليّ، وكعب الأحبار في القوم، وفي تلك السنة أسلم في إمارة عمر(٢٧).

وإن صحت الرواية فهي قاطعة بإسلامه في خلافة عمر، غير أن الاختلاف الآخر في كونه أسلم في خلافة أبي بكر أو عمر هو أمر يسير، لقصر خلافة أبي بكر وتتالي عهده وعهد عمر رضي الله عنهما، فلعلَّه بدأ رحلة الإسلام في خلافة الصديق، ثم أعلن التحاقه بالإسلام تمامًا في خلافة الفاروق.

كعب بعد إسلامه:

وبعد إسلامه، قدم كعب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسكن المدينة، وصحب عمر وروى عنه، واستأذنه بعد ذلك في الخروج إلى الشام لغزو الروم، فأذن له بالمشاركة في ذلك، فخرج وسكن حمص، فقد ذكرت الروايات أنه: "خرج بَعْثُ الصائفة، فاكتتب فيه كعب، قال: فخرج البعث وهو مريض، فقال: لأن أموت 'بحرَسْتا'(٢٨) أحبّ إليّ من أن أموت بدمشق، ولئن أموت 'بدومة'(٢٩) أحبّ إليّ من أن أموت بَحرسْتا هكذا قدما في سبيل الله، قال: فمضى، فلما كان 'بفخ'(٣٠) معلولًا، قلت: أخبرني، قال: شغلتني نفسي حتى إذا كان بحمص توفي بها فدفنّاه هنالك بين زيتونات أرض حمص، ومضى البعث، فلم يقفل حتى قتل عثمان"(٣١).

والمواطن التي أحب كعب أن يموت فيها دون غيرها هي أقرب إلى العدو، وإن صحت فهي تشير وتؤكد على حب الرجل للجهاد في سبيل الله وسعيه إليه، وهو طاعن في السن كما سيأتي.

٢٧- ابن عساكر، المصدر السابق، ج ٥٠، ص ١٥٧- ١٥٨.

٢٨- "حَرَسْتَا" بالتحريك وسكون السين وتاء فوقها نقطتان: قرية كبيرة، عامرة، وسط بساتين دمشق على طريق حمص. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج ٢، ص٢٤١، الصفدي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٧، جمال الدين أبو المحاسن، **النجوم الزاهرة في محاسن مصر والقاهرة**، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ج٢، ص١٦٤.

٢٩- "دُوَمَةَ" بالضم: من قرى غوطة دمشق غير دومة الجندل. ياقوت، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٨٦.

٣٠- "فخ": بفتح أوله، وتشديد ثانيه، والفخ: الذي يُصاد به الطير، معرّب وليس بعربي، واسمه بالعربية. طَرَقٌ، وهو واد بمكة. ياقوت، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٣٧.

٣١- المزى، المصدر السابق، ج ٢٤، ص ١٩١-١٩٢.

إلا أن الرواية تبدو مضطربة، فالرجل الذي جاوزت حياته المائة عام يصعب أن تكون له مشاركة في الجهاد أواخر عمره، خاصة أنه لم يعرف عن أحبار اليهود خبرة حربية خاصة، كما أنه لم ينقل إلينا أنه كان في شبابه مقاتلًا له صولاته وجولاته في ساحات الحرب.

كما أن الرواية تفيد بأن كعبًا حين خرج كان مريضًا، وأنه لم يلبث أن مات بالشام، وهذا يعني أنه لم يكن في المدينة عند مقتل عمر رضي الله عنه، وهذا خلاف للروايات الواردة في هذه المسألة وخلاف كذلك للرواية السابقة التي تفيد أنه وُلد قبل النبي صلى الله عليه وسلم بتسع عشرة سنة، أو أنه مات عن مائة عام وثلاثة أعوام؛ أي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعشرين سنة (سنة ٣١هـ)؛ أي بعد وفاة سيدنا عمر بحوالي ثمانية أعوام.

ومع هذا، فوجود كعب في الشام كان مؤكدًا، حيث كان يجلس في مجالس أميرها معاوية بن أبي سفيان، وكان معاوية يعجب بروايته، وإن كان يخطئه في بعض ما يروى كما سيأتي.

ويظهر من الأخبار أن كعبًا كانت له صلة خاصة بالعباس بن عبدالمطلب، رضي الله عنه، وهي صلة موالاة، غير أن صلته بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أشهر وأقوى، ويبدو أن هذه الشهرة مستقاة من الروايات المنتشرة حول إخبار كعبٍ عمرَ قبل وفاته بقليل، أنه سيموت بعد ثلاث ليال، وهي الروايات التي أدت إلى خوض كثير من المعاصرين في كعب، واتهامه بالمشاركة في المؤامرة التي أودت بحياة الخليفة الراشد الثاني، وهذا سنوضحه في الصفحات التالية من هذا البحث، عند الحديث عن هذه التهمة ومدى صحتها.

وهذه المرحلة من حياة كعب هي التي روى فيها علمًا كثيرًا بثه بين المسلمين، فسمع منه من سمع من الصحابة والتابعين، وصار الرجل بعدها أحد المنافذ التي تسربت منها آثار الثقافة اليهودية إلى تفاسير القرآن وكتب التاريخ وما شابهها.

وفاته:

وردت عدة روايات حول تاريخ وفاة كعب الأحبار أهمها ما يلي:

منها: أنه توفى سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه(٣٢).

٣٢- ابن قتيبة، **المعارف**، ص ٤٣٠، ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، ج ٤، ص ٢٠٣، المزي، المصدر السابق، ج ٢٤، ص١٩٠، ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، ج ٣، ص ٤٧١، الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج ٢٤، ص ٢٦٠.

ومنها: أنه مات سنة ثلاث وثلاثين للهجرة[٣٣].

ومنها: أنه مات لست بقين من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه[٣٤]. وهو تصحيف والصواب لسنة بقيت.

ومنها: أنه مات سنة أربع وثلاثين قبل نهاية خلافة عثمان بن عفان بعام[٣٥].

ومنها: أنه مات سنة خمس وثلاثين للهجرة، وهو قول شاذ انفرد به ابن العماد[٣٦]، قال ابن عساكر: الصواب سنة ثلاث وثلاثين[٣٧].

كعب الأحبار "بين الاتهام والإنصاف":

أشار بعض مشاهير كتّاب العصر الحاضر إلى كعب إشارات سلبية تنتقصه، وترميه بالنفاق، وأنه أظهر الإسلام وأبطن خلاف ذلك، وتآمر على الإسلام والمسلمين، ودار جدل حول هذه القضية التي لفتت الباحثين عن جانب خطير في هذه الشخصية التاريخية المهمة، وهي قيمته الفكرية والعلمية في التاريخ المعرفي للمسلمين.

والحقيقة أن هذا يفتح الباب لمناقشة جملة المؤاخذات التي أخذها المعاصرون على كعب، واللافت للنظر أن التآمر لقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أخطرها، واللافت للنظر أيضًا أن توجيه التهم لكعب جاء على ألسنة كثير من المفكرين والعلماء المسلمين خلال العصر الحاضر، ومنهم: الشيخ محمد رشيد رضا، والأستاذ عباس محمود العقاد، والأستاذ أحمد أمين، والشيخ محمد الغزالي، والدكتور سهيل زكار، والأستاذ خالد محمد خالد وغيرهم.

ومع إجلالنا لهذه القامات الفكرية والعلمية واعترافنا بفضلهم على ثقافتنا الحديثة، فإن هذا لا يمنع من مناقشة الآراء والأفكار التي طرحوها، خاصة ما يكون فيه فرصة لإنصاف شخصية على قدر كعب الأحبار.

٣٣- أبو المحاسن، المصدر السابق، ج ١، ص ١١٦.

٣٤- ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل**، المجلد الثالث، القسم الثاني، ص ١٦١.

٣٥- ابن حبان، **الثقات**، ج ٥، ص ٣٣٣، ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج ٣، ص ٤٥، الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج ٣، ص ٤٢٤، الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، حققه وضبطه: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١، ص ٢٦.

٣٦- ابن العماد، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٠٤.

٣٧- المصدر السابق، ج ٥٠، ص ١٥٣.

أما الأستاذ رشيد رضا فقد قال عن كعب ووهب بن منبه: "إن قدماء الجرح والتعديل اغتروا بهما وعدلوهما"[٣٨]، وهو كلام خطير، لا يقف عند حد اتهام كعب ووهب، ولكن يتجاوزهما إلى اتهام علماء الجرح والتعديل بأنهم جميعًا قد انخدعوا بشخصية كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وأنهما لم يكونا يستحقان تلك الثقة التي أولوهما، ونتيجة ذلك معروفة، وهي أن من اغتر بكعب ووهب، فمن الممكن أن يكون قد اغتر بغيرهما، فجرّح أهل العدالة، وعدّل المجروحين.

ولا شك أن الأستاذ رشيد رضا لم يقصد إلى شيء من ذلك، لكنه كاف للذب عن كعب ووهب، ولإثبات أن علماء الجرح والتعديل لم يكونوا بهذه الغرارة بحيث تخدعهم جميعًا تلك المظاهر التي يبديها بعض الناس، خاصة أن الجرح والتعديل عندهم لا بد أن يقوما على بينات وعلامات واضحة ظاهرة، وإلا كان الراوي مجهولا تُردُّ روايته.

ويبدو أن الأستاذ خالد محمد خالد وإن لم يقصد إلى هذا تمامًا يوجه اللوم إلى الصحابة رضوان الله عليهم وعلى رأسهم أبو هريرة، وكأنهم انخدعوا بكعب الأحبار، ونقلوا عنه دون تمحيص وتفنيد وتثبت، كما تأثر به بعضهم فتوسع في الرواية.

وأما الشيخ محمد الغزالي، فقد كرر التهم نفسها، فقال بعد أن ذكر كعبًا وحديثه مع عمر رضي الله عنه قبل مقتله: "المجوس واليهود تظاهروا على ارتكاب جريمتهم في جو البراءة السائد بين المسلمين"[٣٩].

وقال في موضع آخر: "والغريب أن الفرس والروم واليهود، كانوا يحيون داخل جزيرة العرب حياة عادية، ومن اليسير تحت رداء الإسلام أن يخفوا عداوتهم للدين الذي قضى عليهم، وللدولة التي قامت باسمه... حتى إذا بيت أحدهم شرا أطفأ النار قبل اندلاعها... أليس من المضحك المبكى أن يقول "كعب الأحبار" لعمر: إني أجد مقتلك في التوراة؟!"[٤٠]. وعن قيمة مروياته قال الغزالي: "وكعب الأحبار ناقل لخرافات قومه، ولا وزن له"[٤١].

٣٨- محمد رشيد رضا، مقدمة **تفسير المنار**، دار المنار، القاهرة، ط ٢، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، ج ١، ص ٩.

٣٩- محمد الغزالي، **علل وأدوية**، دار الشروق، ص ٢٢٣.

٤٠- محمد الغزالي، **الحق المر**، مكتبة نهضة مصر، ط ٥، ٢٠٠٥م، ج ٥، ص ١٩٩.

٤١- محمد الغزالي، **تراثنا الفكري في ميزان العقل والشرع**، دار نهضة مصر، القاهرة، ط ١، ص١٣٦.

وعلّق العلامة المحدث الشيخ أحمد محمد شاكر على إحدى مرويات ابن جرير الطبري في **تفسيره** قائلًا: "هذا الإسناد صحيح، وسواء صح أم ضعف فلا قيمة له، إذ منتهاه إلى كعب الأحبار، وما كان كلام كعب حجة قط في التفسير وغيره...."(٤٢).

وقال في موضع آخر تعليقًا على رواية رواها إبراهيم بن يزيد النخعي عن كعب الأحبار: "وهذا إسناد واه جدًا، والعجب من السيد رشيد رضا في تعليقه على **تفسير ابن كثير**، ج ٤، ص ٥٣٧ حيث يقول: "من الغريب، أن تبلغ الجرأة بكعب، إلى هذا الحد الباطل، شرعًا وعقلًا ثم يعتدّون بدينه وعلمه ويردون، والغريب هو تحامله على كعب قبل التثبت من إسناد الخبر، وما ذنب كعب إذا ابتلاه بذلك مثل "أبي حمزة الأعور"؟ ولكن هذا ديدن الشيخ، إذا جاء ذكر كعب الأحبار يتهمه بلا بينة"(٤٣).

ومن خلال هاتين الروايتين للشيخ شاكر نلاحظ أنه في الأولى: نفى تمامًا أن يكون كعب حجة في التفسير وغيره، مع إقراره بأن الإسناد صحيح. أما في الثانية فيظهر منها: أنه يُدافع عن كعب، بل ويتعجب ويستغرب من السيد رشيد رضا، وتحامله على كعب، والحكم على مروياته قبل التثبت من إسناد الخبر، ولم يكتف بذلك، وإنما يُقرر في صراحة واضحة أن هذا هو موقف السيد رشيد رضا وطريقته مع كعب إذا جاء ذكره؛ يتهمه بلا بينة.

وأما الأستاذ العقاد، فقد قال في **عبقرية عمر**، حين تحدث عن استشهاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "وقد شاركهم في هذه المؤامرة يهودي مغلوب، تظاهر بالإسلام، وهو المسمى بكعب الأحبار"! وتابع: "ولعله أراد أن يكسب سمعة العلم بالأسرار من علمه بالمؤامرة، فذهب إلى عمر قبل ثلاثة أيام من مقتله، ينذره أن يختار ولي عهده لأنه ميت في ثلاثة أيام..."(٤٤).

وفي موضع آخر قال العقاد عنه وعن وهب بن منبه: "وكلاهما كثير الرواية والنقل عن الكتب الإسرائيلية، ويظن بهما أنهما وضعا كثيرًا مما روياه"(٤٥).

٤٢- **تفسير الطبري**، مقدمة التفسير، حققه وعلّق حواشيه: محمود محمد شاكر، راجعه وخرّج أحاديثه: أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، المجلد الأول، هامش ص ١٣٧.

٤٣- **تفسير الطبري** المجلد السادس عشر، ص٤٨٤، بهامشها.

٤٤- عباس محمود العقاد، **عبقرية عمر**، (ضمن **المجموعة الكاملة** لمؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد)، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ج ٢، ص ٥٢٦.

٤٥- العقاد، **إبراهيم أبو الأنبياء**، (المجموعة الكاملة)، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٧٠م، ج ١، ص ٤٠٤.

فالعقاد يرمى كعبًا في نصيه هنا بالتآمر ضمن مجموعة شخصيات أعدت وجهزت لقتل عمر، وبأنه وضاع أدخل في الدين كثيرًا من الروايات الباطلة، وسنرى قريبًا قيمة المرويات التي وردت في هذا الصدد.

ويمكن أن نفهم من عبارة العقاد الأخيرة عن كعب ووهب: "يظن بهما أنهما وضعا كثيرًا مما روياه"، أنه استقى الحكم فيها من مقارنة جزئية بين بعض مرويات الرجلين وبين ما طالعه هو في العهد القديم، إلا أننا لا ينبغي أن ننسى أن مصادر الإسرائيليات ليست محصورة في العهد القديم، بل تشمل كل كتب القوم، إضافة إلى مروياتهم الشفهية.

وأما الأستاذ خالد محمد خالد، فقد ذكر في معرض حديثه عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله: "إن هناك سببًا هامًا كان له دور كبير في إثارة المتاعب حول أبي هريرة، لكثرة تحدثه وحديثه، ذلك أنه كان هناك يومئذ محدث يحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ويكثر ويسرف، ولم يكن المسلمون الأصحاب يطمئنون كثيرًا لأحاديثه، ذلك هو "كعب الأحبار" الذي كان يهوديًا وأسلم"[٤٦].

وعلّق الأستاذ شعيب الأرناؤوط على ترجمة الذهبي لكعب الأحبار بقوله: "وقع لكعب رواية في **سنن أبي داود**، و**الترمذي**، و**النسائي**، وأخطأ من زعم أنه خرّج له البخاري ومسلم، فإنهما لم يسندا من طريقه شيئًا من الحديث، وإنما جرى ذكره في **الصحيحين** عرضا، وليس يؤثر عن أحد من المتقدمين توثيق كعب، إلا أن بعض الصحابة أثنى عليه بالعلم"[٤٧].

وظاهر أن الرجل تعرّض لحملة من أقلام لها وزنها في فكرنا المعاصر، وأن التهم الأساسية الموجهة إليه تتلخص فيما يلي:

أولًا: المشاركة في المؤامرة التي أدت إلى اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثانيًا: وضع الأخبار.

أولًا: اتهامه بالمشاركة في قتل عمر:

وهي مروية عند الطبري[٤٨]في **تاريخه**: "عن سلم بن جنادة قال: حدثنا سليمان بن عبد العزيز بن أبي ثابت بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الواحد بن عوف قال: حدثنا أبي عن عبد الله بن جعفر عن

٤٦- خالد محمد خالد، **رجال حول الرسول**، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٣١٨.

٤٧- الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٣، هامش ص ٤٩٠.

٤٨- **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بمصر، ج ٤، ص ١٩١-١٩٣.

أبيه، عن المسور بن مخرمة... وفيها: أن كعب الأحبار جاء عمر بعد أن توعده أبو لؤلؤة، فقال له: "يا أمير المؤمنين، اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام، قال: وما يدريك؟ قال: أجده في كتاب الله عز وجل التوراة. قال عمر: آلله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟! قال: اللهم لا، ولكني أجد صفتك وحليتك، وأنه قد فني أجلك.

فلما كان الصبح، خرج عمر إلى الصلاة، وكان يوكل بالصفوف رجالًا، فإذا استوت جاء هو فكبر. قال: ودخل أبو لؤلؤة في الناس في يده خنجر له رأسان، نصابه في وسطه، فضرب عمر ست ضربات، إحداهن تحت سرته، وهي التي قتلته... وقتل معه كليب بن أبي البكير الليثي، وكان خلفه، فلما وجد عمر حر السلاح سقط، وقال: أفي الناس عبد الرحمن بن عوف قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، هو ذا. قال: تقدم فصل بالناس، قال: فصلى عبد الرحمن بن عوف، وعمر طريح، ثم احتمل، فأدخل داره، فدعا عبد الرحمن بن عوف فقال: إني أريد أن أعهد إليك، فقال: يا أمير المؤمنين، نعم، إن أشرت عليّ قبلت منك، قال: وما تريد أنشدك الله، أتشير علي بذلك، قال: اللهم لا، قال: والله لا أدخل فيه أبدًا، قال: فهب لي صمتا حتى أعهد إلى النفر الذي توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، ادع لي عليًا وعثمان والزبير وسعدًا، قال: وانتظروا أخاكم طلحة ثلاثًا، فإن جاء، وإلا فاقضوا أمركم. أنشدك الله يا علي، إن وليت من أمور الناس شيئًا أن تحمل بني هاشم على رقاب الناس، أنشدك الله يا عثمان، إن وليت من أمور الناس شيئًا أن تحمل أقاربك على رقاب الناس... وأوصى الخليفة من بعدي بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يوفى لهم بعهدهم، اللهم هل بلغت، تركت الخليفة من بعدي على أنقى من الراحة يا عبد الله بن عمر، اخرج فانظر من قتلنى، فقال: يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد الله سجدة واحدة، يا عبد الله بن عمر، اذهب إلى عائشة، فسلها أن تأذن لي، أن أدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، يا عبد الله بن عمر، إن اختلف القوم، فكن مع الأكثر، وإن كانوا ثلاثة، وثلاثة، فاتبع الحزب الذي فيه عبدالرحمن، يا عبد الله: ائذن للناس، قال: فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار، فيسلمون عليه، ويقول لهم أعن ملأ منكم كان هذا، فيقولون معاذ الله، قال: ودخل في الناس كعب، فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول:

فأوعَـدَني كعب ثلاثًـا أعُـــدُّها ... ولا شك أن القولَ ما قال لي كعبُ

وما بي حِذارُ الموت إني لميت ... ولكن حذارُ الذنب يتْبَعَهُ الذنبُ

وأمام هذه الرواية التي رويت عن كعب، ورواها ابن جرير الطبري، والتي استدل بها على وقوف كعب على مكيدة قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بل على اشتراكه فيها، ثم وضعها هو في الصيغة الإسرائيلية، ليدفع عن نفسه التهمة ولينال ثقة المسلمين فيما يخبرهم به عن التوراة وغيرها.

والحق أن هذه الرواية باطلة لا تصح لأسباب:

منها: أن النقد الداخلي والخارجي لا يبقيان للرواية منفذا للاحتجاج بها، فأما من جهة النقد الداخلي، فإن عبد العزيز بن أبي ثابت متروك الرواية(٤٩)، وأما النقد الخارجي، فما كان عمر رضي الله عنه بهذه الغرارة، كما احتوت الرواية ثناء خاصًا على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه جد الراوي الذي ترد فيه الشبهة.

ومنها: ما رواه أحد(٥٠) الباحثين بقوله: "إن أول ما يواجه الباحث هنا هو موقف عبيد الله بن عمر، الذي لم يكد يسمع بما حدث لأبيه حتى يحمل سيفه، ويهيج كالسبع، ويقتل الهرمزان وجفينة وابنة صغيرة لأبي لؤلؤة، أفترى عبيد الله هذا يترك كعب الأحبار والشبهة تحوم حوله، ويقتل ابنة أبي لؤلؤة الصغيرة؟!

ويضاف إلى ذلك أن جمهور المؤرخين لم يذكروا القصة، بل لم يشيروا إليها، فابن سعد في **الطبقات،** قد فصّل حادث اغتيال أمير المؤمنين تفصيلًا دقيقًا، لم يشر قط إلى تلك الحادثة، بل كل ما ذكره عن كعب الأحبار في سياقها هو أنه كان واقفًا بباب عمر يبكي ويقول: "والله لو أن أمير المؤمنين يقسم على الله أن يؤخره لأخره"، وأنه دخل على عمر بعد أن أخبره الطبيب بدنو أجله فقال: "ألم أقل لك: إنك لا تموت إلا شهيدًا، وأنت تقول: من أين وأنا في جزيرة العرب"(٥١)، ويأتي بعد ابن سعد ابن عبد البر في **الاستيعاب** فلا يذكر شيئًا قط عن قصة كعب الأحبار، وأما ابن كثير فيقول: إن وعيد أبي لؤلؤة كان عشية

٤٩- قال الذهبي في **الكاشف**: "عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر، بن عبد الرحمن بن عوف، وهو عبدالعزيز بن أبي ثابت المدني الأعرج... تركوه، توفى سنة ١٩٧هـ"، **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة،** وحاشيته للإمام برهان الدين أبي الوفاء لإبراهيم بن محمد سبط بن العجمي الحلبي. قابلها بأصل مؤلفيها وقدم لهما، وعلق عليهما محمد عوَّامة، خرّج نصوصها أحمد محمد نمر الخطيب، مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ج ١، ص ٦٥٧.

٥٠- محمد السيد الوكيل، **جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين،** ص٢٩٦ نقلًا عن علي الصلابي، **فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه،** دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ص ٧٤٣-٧٤٥.

٥١- المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٣٥.

يوم الثلاثاء، وإنه طعنه صبيحة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة، لم يكن إذن بين التهديد والتنفيذ سوى ساعات معدودات، فكيف ذهب كعب الأحبار إلى عمر؟ وقال له ما قال: اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام، ثم يقول: مضى يوم، وبقي يومان، ثم مضى يومان، وبقي يوم وليلة، من أين لكعب هذه الثلاثة إذا كان التهديد في الليل والتنفيذ صبيحة اليوم التالي؟!

وفي رواية: أنه استأذن عمر رضي الله عنه، للجهاد في بلاد الشام[٥٢] تعني: أن كعبًا كان في بلاد الشام عند مقتل الخليفة الراشد الثاني، ما يزيد في ضعف الروايات التي ترميه بالمشاركة في المؤامرة.

ويتوالى المؤرخون فيأتي السيوطي في **تاريخ الخلفاء** والعصامى في **سمط النجوم العوالي** وحسن إبراهيم حسن في **تاريخ الإسلام السياسي** وغيرهم، فلا نجد واحدًا منهم يذكر القصة من قريب أو بعيد، أليس هذا دليلًا على أن القصة لم تثبت بصورة تجعل المحقق يطمئن إلى ذكرها، هذا إذا لم تكن منتحلة مصنوعة كاد بها بعض الناس لكعب، لينفّروا منه المسلمين، وهذا ما تطمئن إليه النفس ويميل إليه القلب، وخاصة بعد ما عرفوا أن كعبًا كان حسن الإسلام، وكان محل ثقة كثير من الصحابة حتى رووا عنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم[٥٣].

والادعاء كذلك بأنه وضعها في هذه الصيغة الإسرائيلية ليدفع عن نفسه التهمة، ولينال ثقة المسلمين فيما يخبرهم به عن التوراة وغيرها، كل ذلك مردود عليه بأن ابن جرير وغيره من المؤرخين لم يلتزموا الصحة فيما ينقلون ويحكون، ولذا تجد في كتبهم الضعيف والموضوع، والباحث المنصف إذا نقل خبرًا من هذه الكتب ينبغي أن يمحصه سندًا ومتنًا، ولا يأخذه قضية مسلمة.

ونحن إذا نظرنا في هذه القصة لا نشك في أنها تشهد على نفسها بالكذب والاختلاق وذلك لأسباب:

١- أنها لو كانت في التوراة لما اختص بعلمها كعب وحده، ولكن كان يشاركه العلم بها أمثال عبد الله بن سلام ممن لهم علم بالتوراة.

٢- أنها لو صحت لكان المنتظر من عمر حينئذ كما هو المعهود عنه ألا يكتفي بقول كعب، ولكن يجمع طائفة ممن أسلم من أهل الكتاب، ولهم إحاطة بالتوراة، ويسألهم عن هذه القصة، ولو فعل لافتضح أمر كعب، وظهر للناس كذبه، ولتبين لعمر أنه شريك في مؤامرة دبرت لقتله، أو

٥٢- سبق ذكرها في هذا البحث.

٥٣- محمد السيد الوكيل، المرجع السابق، ص ٢٩٦ نقلًا عن علي محمد الصلابي، المصدر السابق، ص ٧٤٣-٧٤٥.

أنه على علم بها، وحينئذ يعمل عمر على الكشف عنها بشتى الوسائل، وينكل بمدبريها ومنهم كعب، هذا المنتظر من أي حاكم عادي يقال له مثل ذلك، فضلًا عن عمر المعروف بكامل الفطنة، وحدة الذهن، وتمحيص الأخبار، لكن شيئًا من ذلك لم يحدث، فكان ذلك دليلًا على اختلاقها.

٣- لو أن هذه القصة صحت لكان معناها أن كعبًا له يد في المؤامرة، وأنه يكشف عن نفسه بنفسه، وذلك باطل لمخالفته طباع الناس، إذ المعروف أن من اشترك في مؤامرة يبالغ في كتمانها بعد وقوعها، تفاديًا من تحمل تبعتها، ويشتد حرصه، وتزداد مبالغته في الكتمان قبل وقوعها، حرصًا على نجاحها، فالكشف عن المؤامرة قبل وقوعها لا يكون إلا من مغفل أبله، وهذا خلاف ما كان عليه كعب، من حدة الذهن، ووفرة الذكاء.

٤- ثم ما للتوراة وتحديد أعمار الناس وتاريخ وفياتهم؟ إن الله تعالى إنما أنزل الكتب نورًا وهدى للناس، لا لمثل هذه الأخبار التي لا تعدو أصحابها(٥٤).

ومن ذلك كله، يتبين لنا أن هذه القصة مفتراة، بدون أدنى شك، وأن رمى كعب بالكيد للإسلام في شخص عمر، والكذب في النقل عن التوراة اتهام باطل لا يستند إلى دليل أو برهان.

ثانيًا: وضع الأخبار:

أما التهمة الثانية التي ألحقت بكعب، وهي وضع الأخبار، فهي مما لم يتثبت القائلون بها في شأنها، وذلك لأسباب:

منها: أن إسلام كعب كان فوق التهمة والكذب، وقد رُفع إلى درجة أهل العلم الموثوق بهم(٥٥).

ومنها: أن هناك من الشواهد الكثيرة، ما يشهد لكعب بصدق إسلامه، وقوة إيمانه، فقد أسلم على الراجح في خلافة عمر رضي الله عنه وسكن المدينة، وصحب عمر وروى عنه، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن مرسلًا؛ لأنه لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه من الصحابة: معاوية، وأبو هريرة، وابن عباس، وبقية العبادلة، وشارك في غزو الروم في خلافة عمر، وعمر قد كان

٥٤- محمد محمد أبو زهو، **الحديث والمحدثون**، مطبعة مصر، القاهرة، ط ١، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، ص ١٨٢-١٨٣.

٥٥- حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩م، ج ١، ص ٥١٤.

عبقريًا ملهمًا، فلا يُصدِّق عاقل أن يساكن كعبا في المدينة ويصاحبه ويكتبه في جيش المسلمين لغزو الروم، وهو مخدوع في إسلامه، مخدوع في صدقه، وصحة روايته.

ومنها: أن معاوية رضي الله عنه أثنى على نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين، منهم كعب الأحبار، فقال: "ألا إن أبا الدرداء أحد الحكماء، ألا إن كعبًا أحد العلماء، إن كان عنده لعلم كالبحار، وإن كنا فيه لمفرطين"(٥٦) ووصفه أبو نعيم الأصفهاني بقوله: "الحبر، صاحب الكتب والأسفار، المثير للمكتوم والأسرار، والمشير إلى المشاهد والآثار..."(٥٧) "وكان خبيرًا بكتب اليهود له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة"(٥٨).

ومنها: أنه كان على مبلغ عظيم من العلم، وكان له بالثقافة اليهودية والإسلامية معرفة واسعة، ولغزارة علمه، وكثرة معارفه، لهج بعض أعلام الصحابة بالثناء عليه، فقال عنه أبو الدرداء رضي الله عنه: "إن عند ابن الحميرية لعلما كثيرًا"(٥٩).

ومنها: أن جمهور العلماء متفقون على توثيق كعب، ولذا فإننا لا نجد له ذكرًا في كتب الضعفاء والمتروكين، وما يحق لمنصف أن يخدش عدالته، أو يشك في كونه ثقة، بعد ما ثبت من رواية أعلام الصحابة عنه أو غيرهم ممن رووا عنه أنهم لم يكونوا سذجًا، ولا مخدوعين فيه، وإنما أيقنوا أنه صدوق فيما يروى، فرووا عنه، لذلك قال عنه ابن حجر في **التقريب**: "ثقة مخضرم"(٦٠). وأورده ابن سعد(٦١) وغيره في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام، وكذلك إذا كان مسلم بن الحجاج قد أخرج له في **صحيحه**، وأخرج له أبو داود، والترمذي، والنسائي وغيرهم(٦٢)، فهذا دليل على أن كعبًا كان ثقة غير متهم عند هؤلاء جميعًا.

٥٦- ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج ٥، ص ٣٢٣.

٥٧- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ج ٥، ص ٣٦٤.

٥٨- الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٣، ص ٣٢٣.

٥٩- ابن سعد، المصدر السابق، ج ٩، ص ٤٤٩، ابن عساكر، المصدر السابق، ج ٥٠، ص ١٥٤، النووي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٨-٦٩، ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، ج ٣، ص ٤٧١.

٦٠- **تقريب التهذيب**، تحقيق: أبي الأشبال، أحمد شاغف، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ، ص ٨١٢.

٦١- المصدر السابق، ج ٩، ص ٤٤٩، ابن عساكر، المصدر السابق، ج ٥٠، ص ١٥٤، المزي، المصدر السابق، ج ٢٤، ص١٩٠، أبو المحاسن، المصدر السابق، ج ١، ص ١١٦.

٦٢- الصفدى، المصدر السابق، ج ٢٤، ص ٢٦٠، الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٣، ص ٤٩٠، محمد حسين الذهبي، **الإسرائيليات في التفسير والحديث**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٥، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٧٤-٧٦.

ويذكر الدكتور محمد محمد أبو شهبة كعبًا بقوله: "إن بعض الإسرائيليات قد يصح السند إليها"، ويتابع: "ولعل قائلًا يقول: أما احتمال أن تكون هذه الروايات الإسرائيلية مختلقة، موضوعة على بعض الصحابة والتابعين، فهو إنما يتجه في الروايات التي في سندها ضعيف أو مجهول، أو وضّاع، أو متهم بالكذب، أو سيئ الحفظ، يخلط بين المرويات، ولا يميز، أو نحو ذلك، ولكن بعض هذه الروايات حكم عليها بعض حفاظ الحديث بأنها صحيحة السند، أو حسنة السند، أو إسنادها جيد، أو ثابت ونحو ذلك، فماذا تقول فيها؟!

والجواب: أنه لا منافاة بين كونها صحيحة السند، أو حسنة السند، أو ثابتة السند، وبين كونها من إسرائيليات بني إسرائيل، وخرافاتهم، وأكاذيبهم، فهي صحيحة السند إلى ابن عباس، أو عبد الله بن عمرو بن العاص، أو إلى مجاهد، أو عكرمة، أو سعيد بن جبير وغيرهم، ولكنها ليست متلقاة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا بالذات، ولا بالواسطة، ولكنها متلقاة عن أهل الكتاب الذين أسلموا، فثبوتها إلى من رويت عنه شيء، وكونها مكذوبة في نفسها أو باطلة، أو خرافة شيء آخر، ومثل ذلك: الآراء والمذاهب الفاسدة اليوم، فهي ثابتة عن أصحابها، ومن آرائهم، ولا شك، ولكنها في نفسها باطلة أو مذهب فاسد"، ثم يتابع أيضاً بقوله: "إن رواية الكذب ليس معناه أنه هو الذي اختلقه: وأحب أن أنبه هنا إلى حقيقة، وهي: أنه ليس معنى أن هذه الإسرائيليات المكذوبات والباطلات مروية عن كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام، وأمثالهم أنها من وضعهم واختلاقهم، كما زعم ذلك بعض الناس اليوم، وإنما معنى ذلك: أنهم هم الذين رووها، ونقلوها لبعض الصحابة والتابعين، من كتب أهل الكتاب ومعارفهم، وليسوا هم الذين اختلقوها، وإنما اختلقها، وافتجرها أسلافهم القدماء، ولم يقل أحد من أئمة الجرح والتعديل على حصافتهم، وبعد نظرهم إن كعبًا، ووهبًا، وعبد الله بن سلام، وتميم الداري، وأمثالهم كانوا وضّاعين، يتعمدون الكذب والاختلاق من عند أنفسهم، وإنما الذي قالوه عنهم: إنهم كانوا هم الواسطة في حمل ونقل معارف أهل الكتاب إلى المسلمين، وأن البعض رواها عنهم، فليس الذنب ذنبهم، وإنما الذنب ذنب من نقلها ورواها عنهم، من غير بيان لكذبها وبطلانها"(٦٣).

ومنها: أن أصحاب الرأي الذي يتهم كعبًا بوضع الأخبار استدلوا بقول معاوية رضي الله عنه عن كعب: "إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب"،

٦٣- **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، مكتبة السنة مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٣٩٣هـ، ص٩٦-٩٧.

وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ينهاه عن التحديث، ويقول: "لتتركن الحديث عن الأول، أو لألحقنك بأرض القردة"(٦٤).

أما عن ذكر معاوية لكعب، وقوله عنه: "إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب"، فظاهر هذا الكلام من معاوية رضي الله عنه يخدش كعبًا في بعض مروياته، ولكنه لا يدل على ما ذهب إليه المتهمون لكعب من أنه كان وضَّاعًا.

ونحن لو رجعنا إلى شُرَّاح قول معاوية رضي الله عنه لوجدناهم جميعًا يشرحونه بما يُبعد هذه الوصمة الشنيعة عن كعب الأحبار، وهذه أقوالهم.

قال ابن حجر في **الفتح**: وقوله: "عليه الكذب" أي: يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف ما يخبرنا به، قال ابن التين: وهذا نحو قول ابن عباس في حق كعب المذكور: "بدل من قبله فوقع في الكذب"، قال: والمراد بالمحدثين في قوله: "إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب" أنداد كعب ممن كان من أهل الكتاب، وأسلم، فكان يحدث عنهم، وكذا من نظر في كتبهم فحدث عما فيها، قال: ولعلهم كانوا مثل كعب، إلا أن كعبًا كان أشد منهم بصيرة، وأعرف بما يتوقاه.

وقال ابن حبّان في **كتاب الثقات**: أراد معاوية أن يخطئه أحيانًا فيما يخبر به، ولم يرد أنه كان كذابًا، وقال غيره: الضمير في قوله: "لنبلو عليه" للكتاب لا لكعب، وإنما يقع في كتابهم الكذب لكونهم بدّلوه وحرّفوه. وقال عياض: يصح عوده على الكتاب، ويصح عوده على كعب، وعلى حديثه، وإن لم يقصد الكذب ويتعمده، إذ لا يشترط في مسمى الكذب التعمد، بل هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، وليس فيه تجريح لكعب بالكذب.

وقال ابن الجوزي: المعنى: أن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذابًا، لا أنه يتعمد الكذب، وإلا فقد كان كعب من أخيار الناس(٦٥).

٦٤- ابن عساكر، المصدر السابق، ج ٥٠، ص ١٦٩، ١٧٢، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج ٣، ص ٣٧، ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، ج ٣، ص ٤٧١، ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، ج ١٣، ص ٣٣٣، رقم: ٧٣٦١.

٦٥- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ، ص١١١، ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ج ١٣، ص ٣٣٤-٣٣٥.

ونضيف إلى ما سبق: أن معاوية الذي قال هذا القول هو نفسه الذي قال: "ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء، وإن كان عنده علم كالثمار، وإن كنا لمفرطين" فمعاوية رضي الله عنه قد شهد له بالعلم وغزارته، وحكم على نفسه بأنه فرّط في علم كعب، فهل يُعقل أن معاوية يشهد هذه الشهادة لرجل كذاب؟! وهل يُعقل أن يتحسر ويندم على ما فاته من علم رجل يدلس في كتب الله، ويحرِّف في وحي السماء؟![٦٦]

أما عن قول عمر رضي الله عنه له: "لتتركن الحديث عن الأول لألحقنك بأرض القردة"، فقد اجتمعت الأخبار على أن عمر رضي الله عنه كان يتشدد في الرواية، وأنه كان ينهى المحدثين عن كثرة التحديث، وقد كان لذلك عدة أسباب:

١- الخوف على السنة التي كانت تُنقل مشافهة من أن يتسرب إليها خطأ، أو تحريف غير مقصود عن طريق النسيان، أو خطأ السماع أو الفهم، أو عدم الدقة في النقل.

٢- الخوف من أن يتسرب الكذب والتدليس المتعمدان إلى السنة إذا أبيح الإكثار من روايتها بين الناس بدون قيود، وعمر لم يتهم جمهور الصحابة، ولكن من قال: إن أي مجتمع قد خلا من المنافق والفاجر الذي يسعى إلى أغراض فردية، ولو عن طريق الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أو لم يحذر الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه من تعمد الكذب عليه، وتهدد الكذابين بالنار؟!، لذا كان الحرص على السنة من دخول الخطأ أو الكذب عليها من الأسباب القوية التي دعت عمر إلى توجيه المسلمين للإقلال من روايتها، والتشدد في ذلك.

٣- الحرص على ألا يستكثر الناس من رواية الأحاديث فينتشر ذلك في مجالسهم، فيشتغلوا به عن العكوف على آيات القرآن الكريم، وهذا السبب نفسه هو الذي دعا عمر ومن قبله الرسول صلى الله عليه وسلم وأبا بكر إلى عدم تدوين السنة[٦٧].

لهذه الأسباب، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينهى المحدثين عامة عن كثرة التحديث، وكان ذلك حرصًا منه، وحفاظًا على الدين، وليس تهمة لأحد.

لذا فإن ما روى من أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى كعب الأحبار عن التحديث، لم يكن موقفًا خاصًا من عمر مع كعب لاتهامه، وإنما كان مخافة التشويش على عقائد العامة وأفكارهم، لعدم تمييزهم بين الحق والباطل، مما يحدث به من أخبار الأول.

٦٦- محمد حسين الذهبي، **الإسرائيليات في التفسير والحديث**، ص ٨٢.

٦٧- محمد بلتاجي، **منهج عمر بن الخطاب في التشريع**، دار السلام، القاهرة، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٩٥-٩٨.

ويشير الدكتور محمد حسين الذهبي إلى هذا بقوله: "ولعل سر نهيه يقصد عمر لكعب عن الحديث عن الأول، ونهيه لأبي هريرة عن الحديث، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن أبا هريرة كان يُحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما سمعه منه، وعن كعب بما يحدثه به، فخاف أن يخلط الناس بين حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وحديث كعب، فقد روى بكير بن الأشج قال: قال لنا بشر بن سعيد: "اتقوا الله، وتحفظوا من الحديث، فوالله، لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة، فيحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحدثنا عن كعب، ثم يقوم، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٦٨).

ومنها: أن كثيرًا من الإسرائيليات دخلت في الإسلام عن طريق أهل الكتاب الذين أسلموا، وأنهم نقلوها بحسن نية، وكذلك لا ينكر أحد أثرها السيئ في كتب العلوم وأفكار العوام من المسلمين، وما جرته على الإسلام من طعون أعدائه، ظنا منهم أنها منه والإسلام منها براء، ولكن الذي لا يُسلِّم به الباحث أن يكون كعب الأحبار وأضرابه ممن أسلموا، وحسن إسلامهم، كان غرضهم الدس والاختلاق والإفساد في الدين، وأن الذي نطمئن إليه أن ما كان يرويه كعب وغيره من مسلمى أهل الكتاب من الإسرائيليات لم يسندوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكذبوا فيه على أحد من المسلمين، وإنما كانوا يروونه على أنه من الإسرائيليات الموجودة في كتبهم، ولسنا مكلفين بتصديق شيء من ذلك، ولا مطالبين بالإيمان به بعد ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم"(٦٩)، وعليه: فإن كانت قد وقعت في بعض مرويات كعب إسرائيليات مكذوبة، أو خرافات، فذلك إنما يرجع إلى من نقل عنهم من أهل الكتاب السابقين الذين بدّلوا وحرَّفوا، وإلى بعض الكتب القديمة التي ملئت بالخرافات والإسرائيليات(٧٠).

رواية الثقات عن كعب:

من أقوى وجوه الدفاع عن كعب اعتماد علماء الحديث له راويًا صدوقًا مقبول الرواية، فقد نقل النووي عن كعب، وترجم له في **شرحه على مسلم** عند شرح حديث "لكل نبي دعوة"(٧١).

٦٨- محمد حسين الذهبي، **الإسرائيليات في التفسير والحديث**، ص ٧٦.

٦٩- ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٣، ص٣٤، ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، كتاب الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها، ج٥، ص٢٩١-٢٩٢، محمد حسين الذهبي، **الإسرائيليات في التفسير والحديث**، ص٧٨.

٧٠- محمد محمد أبو شهبة، **دفاع عن السنة**، مكتبة السنة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٨٠.

٧١- النووي، **صحيح مسلم بشرح النووي**، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم، دعوة الشفاعة لأمته، المطبعة المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م، ج ٣، ص ٧٥.

وقال: "هو من فضلاء التّابعين، وقد روى عنه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم[٧٢]، كما نقل عنه النووي أيضًا في **المجموع** في موضعين[٧٣].

وروى الإمام ابن قتيبة رحمه الله رواية كعب في **غريب الحديث** تحت عنوان: "أحاديث التابعين ومن بعدهم"[٧٤] وروى عنه: أبو هريرة وغيره، بل إن المزي جمع الذين رووا عنه فتعدى عددهم ثلاثين راويًا[٧٥].

وروى عنه البيهقي في **السنن الكبرى** في باب: من شك في صلاته فلم يدرأ ثلاثًا صلى أم أربعًا قال: "أخبرنا عبدالله بن محمد بن الحسن العدل أنبأ أبو بكر بن جعفر المزكي حدثنا مالك عن عفيف بن عمرو السهمي عن عطاء بن يسار أنه قال: سألت عبدالله بن عمرو العاص وكعب الأحبار عن الذي يشك في صلواته، فلا يدري أثلاثًا صلى أم أربعًا؟ فكلاهما قال: فليقم فليصل ركعة أخرى، وليسجد سجدتين إذا صلى"[٧٦].

وكذلك مالك بن أنس[٧٧] وروى عنه الترمذي[٧٨] في كتاب القراءات باب سورة الكهف.

وهنا أشير إلى نقطتين هامتين يبدو لي أنهما ألقيا بظلالهما في التحامل المعاصر على كعب الأحبار واتهامه سواء بالتآمر أو وضع الأخبار، وهما.

الأولى: أن التأثير السياسي في علاقة اليهود بالمسلمين على مر العصور ربما يكون قد ألقى بظلاله على كتابات العلماء والمفكرين المعاصرين نتيجة لمواقف اليهود في كيدهم المتواصل للإسلام، في الوقت الذي لا يُنكر أحد أن لليهود دورًا في كل فتنة وحدث يضر بالمسلمين، وإن لم يكن هذا الحدث من صُنعهم

٧٢- النووي، **صحيح مسلم بشرح النووي**، ج ٣، ص ٧٦.

٧٣- النووي، **المجموع شرح المهذب**، دار الفكر، بيروت، ج ٤، ص ٥٤٩، ج ٧، ص ٣٣١- ٣٣٢.

٧٤- ابن قتيبة، **غريب الحديث**، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاش، بغداد، ط١، ١٣٩٧هـ، ج ٢، ص ٤٩٩.

٧٥- المزي، المصدر السابق، ج ٢٤، ص ١٨٩-١٩٠.

٧٦- أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، **السنن الكبرى**، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط١، ١٣٤٦هـ، ج ٢، ص ٣٣٣.

٧٧- هو مالك بن أنس بن عامر بن عمر بن الحارث، **موطأ مالك**، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، أبو ظبي الإمارات، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ج ٢، ص ١٣٢.

٧٨- أبو عيسى محمد بن عيسى سورة الترمذي، **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوه عوض، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ج ٥، ص ١٨٨.

ابتداءً لكنهم يوقدونه، ولو بعد حين، وهذا ما جعل بعض الكتّاب والباحثين يذهبون إلى أن اليهود هم وراء كل الفتن والأحداث، والدس والتفريق بين المسلمين، ومحاولة إفساد عقيدتهم وأخلاقهم، فالعامل السياسي يؤثر أحياناً على أقلام بعض الكتاب والمفكرين، وهذا ما لاحظته في كتابات وآراء من تحاملوا على كعب الأحبار، واتهموه بالمشاركة في مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووضع الأخبار والاختلاق.

الثانية: أنه مع تقديري البالغ للعلماء والمفكرين المذكورين وإسهاماتهم في الفكر المعاصر، إلا أنه يبدو أن السبب الرئيسي في موقف كثير من هؤلاء من كعب وتحاملهم عليه، أنهم ربما يرجع إلى عدم تخصصهم في علوم التفسير والحديث هو ما دفعهم إلى ذلك، خاصة أننا وجدنا، ومن خلال هذه الدراسة، أن بعضًا من مفكري علماء التفسير والحديث المتخصصين قد أنصفوا كعبا، وأبعدوا عنه هذه التهم، وذلك من خلال كتاباتهم التي اعتمدوا فيها على أقوال، وآراء المتقدمين، والمتأخرين من علماء الجرح والتعديل.

K'ab al- A ╒b╕ r between Allegation and Fair Treatment.

This paper investigates the early biographical details and attempts to assess the position of K'ab al-A ╒b╕ r as an authentic source of a large number of reports that find place in the Islamic annals. It takes up a critical assessment of highly skeptical, even inculpatory treatment of this personality by a number of people especially in recent times. The writer throws some light on his late acceptance of Islam and pleads for a more objective treatment of K'ab al-A ╒b╕ r. According to the writer, a number of allegations levelled by current writers are without sufficient evidence.

❋❋❋❋